الفصل الثامن

افتراءات المستشرقين على عقيدة

القضاء والقدر في الإسلام والرد عليها

الفصل الثامن

افتراءات المستشرقين على عقيدة القضاء والقدر في الإسلام والرد عليها

لما كانت عقيدة الإيمان بالقضاء والقدر في الإسلام من العقائد ذات الأهمية بين أركان الإيمان لارتباطها ارتباطاً وثيقاً بوحدانية الله تعالى وقدرته ؛ فهو المصرف وحده لأمور الكون وكل شؤون الإنسان ، فلا يقع أمر إلا بعلمه وقدرته ، فهو الذي أوجد وأفنى وأمات وأحيا وأضل وهدى (فهي إذاً سر الله في خلقه كما قال علي بن أبي طالب رضي الله عنه)[1] ولابد من التسليم والتصديق بها (فمن وحد الله وكذب بالقدر نقض تكذيبه توحيده على حد تعبير ابن عباس رضي الله عنه)[2]

لما كان الأمر كذلك وكانت هذه العقيدة مثار اهتمام واحتضان من أبناء الإسلام عمد الغلاة من المستشرقين إلى إثارة الغبار عليها -كسابقتها من العقائد الإسلامية- وشككوا وقالوا على لسان المستشرق (جيته) :

١ - إن هذه العقيدة فكرة إسلامية خاصة (وإن المحمديين)[3] يقومون بتعليمها إلى شبابهم على أنه لا يصيبهم إلا ماقدَّر الله ودبر بإرادته. وهذا أساس دينهم منذ الأزل[4].

---

(١) شرح العقيدة الطحاوية ص٣٢٠ تحقيق د/ عبد الله عبد المحسن التركي وشعيب الأرنؤوط..

(٢) نفسه ص٣٢٢.

(٣) يعني المسلمين ، وهذا اللفظ يردد دائماً على ألسنة الغلاة من المستشرقين ؛ لأنهم يتصورون أن علاقة المسلمين بمحمد ﷺ كعلاقة النصارى بعيسى عليه السلام وهذا خطأ لأن الاسم الذي ارتضاه الحق جل وعلا للأمة هو اسم (المسلمون) وكذلك يرفضون قول المحمدية .انظر : دفاع عن العقيدة والشريعة ص٨٩ الشيخ محمد الغزالي.

(٤) نفسه.

٢- ثم زعموا أن الإسلام بهذه العقيدة كان سبباً في تخلف المسلمين عن ركب الحضارة، وكان دعوة إلى التواكل والخمول والكسل وعدم السعي للعمل اعتماداً على أن الله قدر عليهم كل شيء وأنه لن يصيبهم إلا ما كتب لهم فهم نتيجة لهذا المعتقد مستسلمون[١].

٣- ثم نظر المستشرقون بعد هذا الزعم في الآيات القرآنية الوفيرة التي تتحدث عن هذه العقيدة وتثبت أن للإنسان أيضاً حرية اختيار، فذكروا على لسان كبيرهم (جولد تسيهر) «أن هذه الآيات بينها تناقض وتنافر وهي سبب في وجود المذاهب المتعارضة في الإسلام في مسألة حرية الإرادة والقدرة..»، وأن محمداً ﷺ في الأزمان الأولى للعصر المكي كان يتلو آيات تتجه إلى حرية الاختيار والمسؤولية ويقبلها تماماً، أما في المدينة فكان يذكر آيات تتجه للجبر؛ لذا فالتعاليم الأكثر جبرية تميزت بها فترة المدينة[٢].

وللرد أقول:

من العرض السابق تبين أن غلاة المستشرقين في عقيدة القدر قد حادوا عن الصواب وخالفوا ما هو مألوف ومعروف لدى الباحثين المدققين والأدلة ما يلي:

أولاً: إنهم زعموا في القول الأول أن هذه العقيدة التي يعلّمها المسلمون لشبابهم والتي فيها يخضع المرء لمشيئة الله وتقديره عقيدة مبتدعة عند المسلمين وخاصة بهم وهذا قول غير دقيق.

«لأن الشعور بالسلطة العليا للقدر -كما يقول الشيخ محمد الغزالي- معروف في أديان الله كلها وليس وقفاً على الإسلام» بالإضافة إلى أنه معروف في النحل والفلسفات القديمة[٣]، وإن كان هناك انحراف عن الأديان في مفهوم القدر.[٤]

---

(١) الاستشراق تاريخه وأهدافه، ص٥٦، ١١٣ د/ أحمد شلبي، والغزو الفكري أبعاده ومواجهته، ص٨٢ د/ عبد العزيز تمام.

(٢) راجع العقيدة والشريعة في الإسلام، ص٩٣ - ٩٧، ودفاع عن العقيدة ص٩٣.

(٣) دفاع عن العقيدة والشريعة، ص٨٩.

(٤) القضاء والقدر في ضوء الكتاب والسنة ومذاهب الناس فيه، ص١٢٥ د/ عبد الرحمن بن صالح المحمود - دار الوطن، الرياض.

١- أما القدر في الأديان السماوية القديمة

فقد أشار القرآن الكريم إلى أن جميع أنبياء الله ورسله قد أقروا وسلموا بقضاء الله وقدره، وبأن ما شاء الله وأراد كان، وما لم يشأ ولم يرد لا يكون، وأنه لا يقع في ملكه إلا ما يريد.

أ- فها هو نوح عليه السلام: يطلب منه قومه أن يستعجل لهم العذاب الذي وعدهم به إن لم يؤمنوا بعد مراحل طويلة من الجدال معهم فيقول لهم: ﴿قَالَ إِنَّمَا يَأْتِيكُم بِهِ اللَّهُ إِن شَاءَ وَمَا أَنتُم بِمُعْجِزِينَ وَلَا يَنفَعُكُمْ نُصْحِيٓ إِنْ أَرَدتُّ أَنْ أَنصَحَ لَكُمْ إِن كَانَ اللَّهُ يُرِيدُ أَن يُغْوِيَكُمْ هُوَ رَبُّكُمْ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ (١)

فلو كان الله تعالى قدّر عليكم -أن يغويكم- أي يضلكم فإن نصحي لا يفيد لأنه وحده له الحكم والأمر -وإليه ترجعون- فيجزيكم بأعمالكم(٢) ولا يظلم سبحانه أحداً.

ب- أما إبراهيم عليه السلام: فيعرض رؤياه المنامية على ابنه إسماعيل عليهما السلام ويخبره بأنه رأى في منامه أنه يذبحه، وإسماعيل يعلم أن رؤيا الأنبياء حق وأن هذا أمر من الله عز وجل فيسلم ويستسلم ويطيع ويبر ويقول لأبيه بكل رقة وحنان: ﴿يَا أَبَتِ افْعَلْ مَا تُؤْمَرُ سَتَجِدُنِيٓ إِن شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّابِرِينَ﴾ (٣) أي إن كان الله قدّر ذلك عليَّ فإني موطن نفسي على الصبر، وقرن ذلك بمشيئة الله تعالى؛ لأنه لا يكون شيء بدون مشيئته.(٤)

ج- كذلك يوسف عليه السلام: بعدما مرت عليه سنون وأيام ذاق فيها مرارة الحرمان من الحنان الأبوي ووقع عليه اتهام بدون دليل ولا برهان وغاب بين جدران السجون يمنّ عليه الحق بعد ذلك بالبراءة والعزة والرفعة في المكان فيدعو

(١) سورة هود، الآية: ٣٣/ ٣٤.
(٢) مختصر تفسير البغوي، ج١ ص٤١٣.
(٣) سورة الصافات، الآية: ١٠٢.
(٤) راجع تفسير ابن كثير، ج٤ ص١٥، والقضاء والقدر د/ المحمود، ص١٢٧.

أبويه إلى زيارة عرشه في مصر فيخرون له سجداً فيقول: مذكراً أباه برؤياه الماضية التي قصها عليه وهو طفل صغير: ﴿يَٰٓأَبَتِ هَٰذَا تَأۡوِيلُ رُءۡيَايَ مِن قَبۡلُ قَدۡ جَعَلَهَا رَبِّي حَقّٗاۖ وَقَدۡ أَحۡسَنَ بِيٓ إِذۡ أَخۡرَجَنِي مِنَ ٱلسِّجۡنِ وَجَآءَ بِكُم مِّنَ ٱلۡبَدۡوِ مِنۢ بَعۡدِ أَن نَّزَغَ ٱلشَّيۡطَٰنُ بَيۡنِي وَبَيۡنَ إِخۡوَتِيٓۚ إِنَّ رَبِّي لَطِيفٞ لِّمَا يَشَآءُۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلۡعَلِيمُ ٱلۡحَكِيمُ﴾ (١).

أي إذا أراد أمراً قيض له أسبابه ويسره -إنه هو العليم- بمصالح عباده- الحكيم في أقواله وأفعاله وقضائه وقدره وما يختاره ويريده(٢).

وهذا يعني أن يوسف عليه السلام كان مسلماً بقضاء الله وقدره، ومعتقداً أن كل ما جرى له كان بتدبير من الحق وبحكمة يعلمها جل وعلا؛ لأنه وحده المدبر لشؤون خلقه.

د- كذلك موسى عليه السلام: يسلم بمشيئة الله وقدره، والدليل على ذلك أنه مرة يختار من قومه سبعين رجلاً لميقات ربه فتأخذهم الرجفة فينادي ربه ﴿رَبِّ لَوۡ شِئۡتَ أَهۡلَكۡتَهُم مِّن قَبۡلُ وَإِيَّيَۖ أَتُهۡلِكُنَا بِمَا فَعَلَ ٱلسُّفَهَآءُ مِنَّآۖ إِنۡ هِيَ إِلَّا فِتۡنَتُكَ تُضِلُّ بِهَا مَن تَشَآءُ وَتَهۡدِي مَن تَشَآءُۖ أَنتَ وَلِيُّنَا فَٱغۡفِرۡ لَنَا وَٱرۡحَمۡنَاۖ وَأَنتَ خَيۡرُ ٱلۡغَٰفِرِينَ﴾ (٣) أي هذا هو ابتلاؤك واختبارك وامتحانك ... فلا أمر إلا أمرك ولا حكم إلا لك، فما شئت كان، تضل من تشاء وتهدي من تشاء، ولا هادي لمن أضللت ولا مضل لمن هديت، ولا معطي لما منعت ولا مانع لما أعطيت، فالملك كله لك والحكم كله لك، لك الخلق والأمر.(٤) فموسى عليه السلام كان متأكداً من قضاء الله وقدره في كل شؤون حياته وشؤون الآخرين.

---

(١) سورة يوسف، الآية: ١٠٠.

(٢) تفسير ابن كثير، ج٢ ص٥٠٥

(٣) سورة الأعراف، الآية: ١٥٥.

(٤) تفسير ابن كثير، ج٢ ص٢٦٠

هـ- أما زكريا النبي الكريم كان كلما يدخل على مريم في المحراب يجد عندها رزقاً حسناً متنوعاً ففاكهة الصيف يجدها في الشتاء وفاكهة الشتاء في الصيف فيقول أنّى لكِ هذا فتقول:

﴿هُوَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ يَرْزُقُ مَن يَشَآءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ [1] حينئذ يطمع زكريا ويدعو ربه بأن يرزقه ذرية طيبة فيستجيب له ويُبلِّغ بالإجابة الفورية فيزداد تعجباً ويقول: ﴿قَالَ رَبِّ أَنَّىٰ يَكُونُ لِي غُلَٰمٌ وَقَدْ بَلَغَنِيَ ٱلْكِبَرُ وَٱمْرَأَتِي عَاقِرٌ ۖ قَالَ كَذَٰلِكَ ٱللَّهُ يَفْعَلُ مَا يَشَآءُ﴾ [2]

أي هكذا أمر الله عظيم لا يعجزه شيء ولا يتعاظمه أمر؛ لأن كل شيء خاضع لمشيئته وتقديره.[3] وهكذا يتضح من آيات الكتاب العزيز أن عقيدة القضاء والقدر كانت معلومة في كل الأديان السماوية الصحيحة والسابقة لدين محمد عليه الصلاة والسلام، وليست بدعة عند المسلمين، وهذا إن دل فإنما يدل على أن الرسل وإن اختلفت أزمانهم وبعض شرائعهم إلا أنهم في العقيدة سواء، والإيمان بالقدر جزء من هذه العقيدة[4].

٢- ما ورد عن القدر في النحل والفلسفات القديمة:

ولما كانت مسألة القضاء والقدر مرتبطة بحياة الإنسان ودوره وحركته في هذا الكون الفسيح فقد جاء ذكره عند أرباب النحل والفلسفات القديمة أيضاً بغض النظر عن مدى صحة أقوالها أو عدمها في هذه المسألة، فإنه قد ثبت عند المؤرخين أن فلاسفة اليونان الذين كان من أشهرهم أرسطو وأفلاطون وأبيقور وفيثاغورث

---

(١) سورة آل عمران، الآية: ٣٧.

(٢) سورة آل عمران، الآية: ٤٠.

(٣) راجع تفسير ابن كثير، ج١ ص٣٥٢ - ٣٥٤، ومختصر تفسير البغوي ص١١٧.

(٤) انظر: القضاء والقدر، ص١٣٢ د/ عبد الرحمن المحمود

قد تكلموا في القدر وذكروه، وكذلك السريانيون[1] والزرادشتيون[2]، كما بحث في هذه المسألة فلاسفة النصارى... والمجوس[3] والصابئة[4] والدهرية[5] وكذلك مشركو العرب، وهؤلاء وإن ذكروا القدر- كما قلت- إلا أنهم لم يكونوا على رأي واحد فيه، فمنهم من كان يقول بأن الإنسان محدث لأفعاله بدون قدرة الله[6]، ومنهم من كان يزعم أن الإنسان مجبر على كل شيء في حياته[7] ومنهم من جعل الدهر هو المبدأ الأساسي وجعله عين القدر أو الفلك الأعظم أو حركة الأفلاك[8].

ومنهم من كان يثبت القدر وهو ما يزال على شركه للاحتجاج به في المعاصي[9]. إذاً الكلام في القضاء والقدر والجبر والاختيار أمر ليس وليداً في الإسلام، بل هو قديم قدم الفكر الإنساني، وفيه خاض أرباب النحل والفلسفات من أعمار طويلة وافترقوا فيه على مذاهب شتى.

ثانياً: التصور الإسلامي الحقيقي لعقيدة القضاء والقدر والذي يعنينا في هذا المقام هو بيان كيفية فهم هذه العقيدة في التصور الإسلامي الحقيقي وما ذاك إلا لأن المستشرقين عمدوا إلى تشويه كل جميل يتصل بهذه العقيدة كما رأينا (فجولد تسيهر) يرى الآيات القرآنية الوفيرة التي توضح للمسلم ما يريد فهمه في هذا الموضوع، فيزعم أن هذه الآيات متنافرة ومتناقضة وأنها كانت سبباً في وجود

---

(١) وهم يدينون بالنصرانية والوثنية، وقد ساهم بعضهم في عهد المأمون في ترجمة الفلسفة الإغريقية إلى العربية.

(٢) أتباع زرادشت بن يورشب كان أبوه من أهل أذربيجان وأمه من الري.. وقد زعم أتباعه أن لهم أنبياء وملوكاً.. انظر: الملل والنحل للشهرستاني ص١١٠.

(٣) هم الذين قالوا إن للعالم أصلين النور والظلمة. انظر: الملل والنحل ص١٠٩.

(٤) هم الذين مالوا عن الحق وزاغوا عن نهج الأنبياء ويقولون بالروحانيات ويقابلون الحنفية - المصدر السابق ص١٢٥.

(٥) هم الذين جحدوا الصانع المدبر وزعموا بأن العالم وجد بنفسه بدون صانع - انظر: القضاء والقدر، هامش ص١٣٦.

(٦) هذا هو قول المجوس.

(٧) وهو قول صابئة حران وبهم تأثرت فرقة الجبرية فيما بعد.

(٨) وهذا هو مذهب الدهرية، انظر: القضاء والقدر، د/ المحمود، ص١٣٢-١٣٧.

(٩) وهم مشركو العرب وقولهم ظاهر البطلان.

مذاهب متعارضة في الإسلام، وأن القرآن الذي نزل في مكة يدعو لحرية الاختيار عند الإنسان بينما في المدينة يتجه للجبر..إلخ.

وهذا زعم فارغ.وفهم خاطئ لما يلي:

١- أن القرآن أوله يصدق آخره، فالآيات الكريمة التي نزلت في مكة لا تختلف عن التي نزلت في المدينة، فكل منها تشير إلى معنى الجبر والاختيار، ولو قرأ (جولد تسيهر) سورة الإسراء وهي مكية لوجد فيها قول الله تعالى: ﴿مَّنِ ٱهْتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهْتَدِى لِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَن ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا ۚ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ۗ وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا﴾ (١).

وفيها أيضاً: ﴿وَمَن يَهْدِ ٱللَّهُ فَهُوَ ٱلْمُهْتَدِ ۖ وَمَن يُضْلِلْ فَلَن تَجِدَ لَهُمْ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِهِۦ ۖ وَنَحْشُرُهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ عُمْيًا وَبُكْمًا وَصُمًّا ۖ مَّأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ ۖ كُلَّمَا خَبَتْ زِدْنَٰهُمْ سَعِيرًا﴾ (٢).

والآية الأولى تشير إلى حرية الإنسان والثانية إلى المعنى الموهم للجبر كما فهمه (جولد تسيهر) ومن سار على دربه والآيتان نزلتا بمكة.

ولو قرأ في سورة البقرة وهي مدنية لوجد قول الله تعالى: ﴿يُضِلُّ بِهِۦ كَثِيرًا وَيَهْدِى بِهِۦ كَثِيرًا ۚ وَمَا يُضِلُّ بِهِۦٓ إِلَّا ٱلْفَٰسِقِينَ﴾ (٣) وفيها أيضاً قوله سبحانه ﴿لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ۚ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا ٱكْتَسَبَتْ ۗ﴾ (٤).

وفي الآية الأولى إشارة إلى ما يوهم الجبر، وفي الثانية إشارة إلى الحرية في الكسب، والسورة كما أشرت نزلت بالمدينة. وكذلك الأمر موجود في سورة الكهف وهي مكية ففيها قول الله تعالى: ﴿وَقُلِ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ ۖ فَمَن شَآءَ فَلْيُؤْمِن وَمَن شَآءَ فَلْيَكْفُرْ ۚ﴾ (٥).

(١) سورة الإسراء، الآية: ١٥.
(٢) سورة الإسراء، الآية: ٩٧.
(٣) سورة البقرة، من الآية: ٢٦.
(٤) سورة البقرة، من الآية: ٢٨٦.
(٥) سورة الكهف، من الآية، ٢٩.

ومنها قوله تعالى: ﴿مَن يَهْدِ ٱللَّهُ فَهُوَ ٱلْمُهْتَدِ ۖ وَمَن يُضْلِلْ فَلَن تَجِدَ لَهُۥ وَلِيًّا مُّرْشِدًا﴾[1] وهكذا يتضح أن كل آيات القرآن الكريم يلتقي بعضها ببعض ويعضد أولها آخرها، فالقرآن في نظمه ومعناه وفي أسلوبه ومرماه لا يختلف مكيه عن مدنيه في شيء فآخره يصدق أوله، وأوله يمهد لآخره، والقول بالتنافر والتناقض بين الآيات هنا قول يرفضه واقع الآيات ذاته كما رأينا من خلال ما سقناه، ويوضح أن المستشرقين لم يقفوا على مدى التنظيم والتنسيق والانسجام الكامل بين سور وآيات الكتاب العزيز.

٢- ما فهمه العلماء في ضوء هذه الآيات وغني عن البيان أن هذه الآيات الكريمة التي تحدثت في موضوع القدر والذي يعد ركناً أساسياً من أركان الإيمان عند أهل السنة كانت ذات شعبتين -كما رأينا- شعبة تؤكد أن للإنسان إرادة حرة وأن له كسباً واكتساباً وهذا حق. وشعبة تؤكد أن للقدر الأعلى هيمنة على نظام الوجود كله ودائرة أوسع من دائرة الإرادة الجزئية للإنسان وهذا حق أيضاً. ولا منافاة بين هذه الآيات وتلك، ومعظم علماء الإسلام في ضوء فهمهم لسياق الآيات الكريمة يذهبون إلى أن كل المخلوقات والحادثات بما فيها الإنسان تابعة للإرادة الكلية الإلهية، ولكن الله منح الإنسان إرادة جزئية لتكون له دليلاً يميز به الخير من الشر والحسن من القبيح[2] في ضوء الشرع الحكيم.

وهذا هو ما أشار إليه الشيخ محمد الغزالي حين قال: «إن العلماء يفرقون بين المجال الذي تعمل فيه الإرادة الإنسانية وترتبط به مسؤوليتها وبين المحيط الرحب الذي تمتد فيه الإرادة الإلهية المطلقة».

الأول: مجال الأفعال الاختيارية التي يتعلق بها الثواب والعقاب.

---

(١) سورة الكهف، من الآية: ١٧.

(٢) راجع الغزو الفكري ص٨١، ودفاع عن العقيدة ص٩٢، ٩٣.

والثاني: مجال القدر الذي يتلقى الناس سراءه وضراءه بالتسليم والرضا، والآيات القرآنية تتناول هذا وذلك، وقد شرح العلماء حدود كل مجال وضربوا له الأمثلة بحيث ينتفي التناقض الذي توهمه المستشرقون ومنهم (جولد تسيهر)[1].

٣- أمثلة عن الجبر والاختيار:

أ- هناك أمور تحدث وتتم بمحض القدرة العليا وعلى وفق المشيئة الإلهية وهي تنفذ في الناس طوعاً أو كرهاً سواء شعر بها الناس أم لم يشعروا، فالعقول ومقدار ما يودع فيها من ذكاء أو غباء والأمزجة وما يلابسها من هدوء أو عنف، وجسم الإنسان وما يكون فيه من طول أو من قصر ومن جمال أو قبح، والمكان الذي يولد فيه الإنسان والزمان الذي يعيش فيه، وطول عمره أو قصره واختيار أبويه والصحة والمرض والسعة والضيق في الرزق الخ.

كل هذه الأشياء لا دخل للإنسان فيها بل تتحرك بتقدير الله تعالى وإرادته؛ لأنه هو واهب الحياة وخالقها. ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَخْفَىٰ عَلَيْهِ شَيْءٌ فِي ٱلْأَرْضِ وَلَا فِي ٱلسَّمَآءِ ۝ هُوَ ٱلَّذِي يُصَوِّرُكُمْ فِي ٱلْأَرْحَامِ كَيْفَ يَشَآءُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾[2].

ومن فضل الله وكرمه أن هذه الأمور ليست محلاً للمؤاخذة ولا موضعاً للحساب ومن ثمّ فلا يصح للإنسان أن يعترض عليها أو يسخر منها؛ لأنها من الخصائص التي لا سبيل لنا إليها وفي مثلها يساق قول الله تعالى: ﴿وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ وَيَخْتَارُ مَا كَانَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾[3].

فالتسليم والإيمان بهذا الضرب من القدر واجب والأدلة عليه متظاهرة من العقل والنقل[4]، وكلها لا تخرج عن قبول التسليم بإرادة الله العليا جل وعلا.

(١) المصدر السابق، ص٩٠.
(٢) سورة آل عمران، الآية: ٥، ٦.
(٣) سورة القصص، الآية: ٦٨.
(٤) انظر عقيدة المسلم، ص١١٧-١١٨ الشيخ محمد الغزالي.

ب- ثم إن هذه الإرادة العليا منحت الإنسان بعد ذلك إرادة وقدرة نلمسها فيما نباشر من أعمال تقع منا مثل الاختيار بين البديلات عن طريق العقل، وهذه حرية يبنى عليها الثواب والعقاب، وتكون فيها المؤاخذة والحساب وهذا حق ولا يظلم ربك أحداً إذ الحجة حينئذ تكون من جهة الإنسان له أو عليه.

فمثلاً: الله تعالى قدر الرزق للإنسان وخلق وسائل السعي إليه، فمن سعى وطلبه بحلاله وصل إليه ما قدره الله وكان سعيه مشكوراً، ومن تكاسل وقعد وقال قُدِّر لي رزقي ولم يخرج في طلبه كان مأزوراً غير مأجور، وهلك بجوعه؛ لأن السماء لا تمطر ذهباً ولا فضة ولا طعاماً، كذلك الأمر. في قبول فرائض الله أو هجرها فالإنسان قد يكون في نهار رمضان وأمامه الطعام والشراب فبإرادته واختياره قد يأكل، وقد لا يأكل والله تعالى وإن كان قد فرض الصيام عليه إلا أنه لم يجبره ولم يقهره بل ترك الأمر له وقدَّر عليه إن أكل فمصيره العقاب، وإن امتنع وأطاع فمصيره الثواب ولا يظلم ربك أحداً.

وقد فطن إلى ذلك الطحاوي ـ رحمه الله ـ حين قال: «يحتمل أن يكون الله - عز وجل- إذا أراد أن يخلق النسمة جعل أجلها إن برت كذا وكذا، وإن لم تبر كذا وكذا لما هو دون ذلك... وإن عملت كذا حرمت كذا وإن لم تعمل كذا رزقت كذا ويكون ذلك مما يثبت في الصحيفة التي لا يزاد على ما فيها ولا ينقص منه»[1].

وهذا يعني أن حرية الإنسان في الاختيار بين البديلات وما يمكن أن يقوم به مقدرة ومسجلة ومكتوبة في كتاب عند الله عز وجل وهذا تصديق لقول الله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ﴾[2].

---

(١) مشكل الآثار، ج٤ ص١٧٠ لأبي جعفر الطحاوي عن كتاب القضاء والقدر ص٣٩٩ د/المحمود.

(٢) سورة الصافات، الآية: ٩٦.

فهو خالقكم ومهيء كل الوسائل لكم ومميزكم بنعمة العقل ولم يقهر أحداً على الطاعة، وهذا أمر في غاية التكريم للإنسان في هذا الدين القويم وإلى ذلك يشير الشيخ الشعراوي قائلاً: هناك أمور قضى الله وحكم فيها ... فوفر طاقة الجدل واللجاجة.. وأمور تركها سبحانه للنفس الإنسانية التي تتميز بالعقل لينمي فيها ملكة الاختيار بين البديلات والتي هي مظهره.. والله تعالى لو أراد الدين قالب حديد لا تتحرك فيه لسهل ذلك عليه.. ولكن في ذلك إهدار لما خلق الله من الاختيار بين البديلات للعقل إذا قهرنا قهراً على شيء كما قهر الحيوان والجماد على أشياء فسميناها مسخة لا رأي لها، وتلك سمة تنافي مع تكريم الله للإنسان حين جعل له اختياراً وخلقه مختاراً»[1].

ويقول الشيخ الغزالي: «إن طبيعة الدين -وهي التكليف والابتلاء- لا تتحقق البتة مع استعباد الإرادة وتقييدها، وإيقاع الجزاء كذلك لا يتوجه ويقر إلا في هذا الجو الطلق الفسيح»[2] -حرية الاختيار-

بقي بعد تقرير حرية الإنسان في الاختيار بين البديلات وسؤاله عما يقع عنه في ذلك وخضوعه لهيمنة القدرة العليا بقي سؤال يقول:

كيف تتفق حرية الإنسان مع هذا الخضوع؟ أو بمعنى آخر كيف يتفق هذا مع ما ورد من لفظ هداية الله وإضلاله في الآيات القرآنية السابقة وغيرها؟

والجواب أن:

٤- معنى يضل من يشاء ويهدي من يشاء:

أي أن الشخص الذي آثر الغي على الرشاد وعشق ذلك وداوم عليه فإن الله تعالى يقره على مراده ويبقيه طالما هو أحب ذلك وارتضاه ودعي أن يبعد عنه فلم يقبل، والقرآن الكريم يوضح ذلك في قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا زَاغُوٓا۟ أَزَاغَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُمْ ۚ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْفَٰسِقِينَ﴾[3].

(١) شبهات وأباطيل خصوم الإسلام، ص٨٦، ٨٧.

(٢) عقيدة المسلم، ص١٢٠.

(٣) سورة الصف، الآية: ٥.

فهم الذين جنوا على أنفسهم ولم يجن عليهم أحد ؛ لذلك منعوا الهداية من الله تعالى وهو عادل في حكمه : ﴿وَمَن يُشَاقِقِ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعۡدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ ٱلۡهُدَىٰ وَيَتَّبِعۡ غَيۡرَ سَبِيلِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ نُوَلِّهِۦ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصۡلِهِۦ جَهَنَّمَۖ وَسَآءَتۡ مَصِيرًا﴾[1].

والمنافقون أضلهم الله لأنهم خالفوا أوامره قال تعالى : ﴿وَمَا يُضِلُّ بِهِۦٓ إِلَّا ٱلۡفَٰسِقِينَ ٱلَّذِينَ يَنقُضُونَ عَهۡدَ ٱللَّهِ مِنۢ بَعۡدِ مِيثَٰقِهِۦ وَيَقۡطَعُونَ مَآ أَمَرَ ٱللَّهُ بِهِۦٓ أَن يُوصَلَ وَيُفۡسِدُونَ فِي ٱلۡأَرۡضِۚ﴾[2].

فإطلاق المشيئة من الله تعالى في إضلالهم سببه أعمالهم التي قاموا بها ، فكيف ينتظر لهم إلا إبقاؤهم على ما هم عليه ؛ لأن ذلك هو الذي سيؤدي بهم إلى جهنم وساءت مصيراً هذا هو معنى يضل ولا يهدي فهو معنى مترتب على ما اختاره الإنسان عن طريق الحرية التي رزقه الله إياها. والحال كذلك في معنى : ﴿يَهۡدِي مَن يَشَآءُ﴾.

فلننظر إلى قيمة الإرادة الإنسانية في قول الحق وهو يتكلم عن إرادته : ﴿قُلۡ إِنَّ ٱللَّهَ يُضِلُّ مَن يَشَآءُ وَيَهۡدِيٓ إِلَيۡهِ مَنۡ أَنَابَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَتَطۡمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكۡرِ ٱللَّهِۗ أَلَا بِذِكۡرِ ٱللَّهِ تَطۡمَئِنُّ ٱلۡقُلُوبُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾[3] فهؤلاء عشقوا ذكر الله وأحبوه ورددوه وأنابوا إلى خالقهم ورجعوا عن ذنوبهم ، ألا ينبغي أن يقرهم ربهم على هدايتهم ويزيد فيها فهو يهدي إليه من أناب.

يقول ابن كثير «أي رجع إليه واستعان به وتضرع إليه»[4] : ﴿وَٱللَّهُ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلۡفَٰسِقِينَ﴾ أي الذين كانوا على عكس هؤلاء ﴿إِنَّ ٱلۡمُنَٰفِقِينَ هُمُ ٱلۡفَٰسِقُونَ﴾[5].

---

(١) سورة النساء، الآية : ١١٥.
(٢) سورة البقرة، الآية : ٢٦، ٢٧.
(٣) سورة الرعد، الآية : ٢٧-٢٨.
(٤) تفسير ابن كثير ج٢ ص٥٢٧.
(٥) سورة التوبة، الآية : ١٥.

فالهداية ليست لهم بل لمن اختار لنفسه الهداية وزرع عمره بالخير فإن القدر سوف ينميه له ورداً يانعاً، وإن اختار زراعته بالشر فإن يد القدرة ستنميه له شوكاً يافعاً ومؤثراً قال تعالى: ﴿مَّنِ ٱهْتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهْتَدِى لِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَن ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا ۚ﴾.(١)

﴿مَّن كَانَ يُرِيدُ ٱلْعَاجِلَةَ عَجَّلْنَا لَهُۥ فِيهَا مَا نَشَآءُ لِمَن نُّرِيدُ ثُمَّ جَعَلْنَا لَهُۥ جَهَنَّمَ يَصْلَىٰهَا مَذْمُومًا مَّدْحُورًا ﴿١٨﴾ وَمَنْ أَرَادَ ٱلْآخِرَةَ وَسَعَىٰ لَهَا سَعْيَهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُو۟لَٰٓئِكَ كَانَ سَعْيُهُم مَّشْكُورًا ﴿١٩﴾ كُلًّا نُّمِدُّ هَٰٓؤُلَآءِ وَهَٰٓؤُلَآءِ مِنْ عَطَآءِ رَبِّكَ ۚ وَمَا كَانَ عَطَآءُ رَبِّكَ مَحْظُورًا﴾.(٢)

إذاً فالآيات القرآنية تفيد أن الهداية والإضلال وإطلاق مشيئة الله بهما في بعض الآيات فإنهما يقيدان بآيات أخرى يذكر فيها الاختيار الإنساني صريحاً والقرآن يفسر بعضه بعضاً، ويبين أن الإنسان إن اختار طريق الخير فالله لا يمنعه منه بل ييسره له ويزيل عنه العقبات ويزيده هدى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ ۖ وَإِن تَكُ حَسَنَةً يُضَٰعِفْهَا﴾.(٣) وإن اختار الأخرى فليس له إلا الضلال بل وتيسير طريقه.

٥- الاحتجاج بالقدر في المعصية لا يجوز

ومن ثمَّ فلا يصح لأحد أن يحتج على المعصية بالقدر ويقول إن الله قدَّر عليَّ ألا أصلي مثلاً أو يسرق، ونسأله لماذا تسرق؟ يقول قدَّر الله عليَّ ذلك، أو يقول يهديني الله ولا أسرق، وهذا كلام المغفلين أو العصاة المتبجحين وقد قاله من قبل هؤلاء المشركون، فقد كان أحدهم حين يسأل عن سبب شركه يقول: ﴿لَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَآ أَشْرَكْنَا وَلَآ ءَابَآؤُنَا وَلَا حَرَّمْنَا مِن شَىْءٍ ۚ كَذَٰلِكَ كَذَّبَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ حَتَّىٰ ذَاقُوا۟ بَأْسَنَا ۗ قُلْ هَلْ عِندَكُم مِّنْ عِلْمٍ فَتُخْرِجُوهُ لَنَآ ۖ إِن تَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ وَإِنْ أَنتُمْ إِلَّا تَخْرُصُونَ﴾(٤) فالقرآن الكريم يرفض هذا التبجح والمكابرة ويقرر أن ما قيل ليس هو من ضروب الحق بل وهم وظن وخيال وتجاهل عن المسؤولية وحرية الاختيار التي رزقها الله للإنسان.

(١) سورة الإسراء، الآية: ١٥.
(٢) سورة الإسراء، الآية: ١٨-٢٠.
(٣) سورة النساء، الآية: ٤٠.
(٤) سورة الأنعام، الآية: ١٤٨.

وها هو عمر بن الخطاب -رضي الله عنه- يدخل عليه رجل سارق فيسأله عمر رضي الله عنه لِم تسرق؟ فيقول: سرقت بقضاء الله وقدره، فقال له عمر رضي الله عنه: ونحن نقطع يدك بقضاء الله وقدره[1] فالسارق احتج بالقدر على السرقة ليخلي مسؤوليته وهو يعلم أنها من المعايب؛ ولهذا كان جواب عمر رضي الله عنه حاسماً وبنفس الأسلوب الذي احتج به السارق ليبين له أن هذه المغالطة مرفوضة لأن الإنسان كما هو مجبر في أشياء غير محاسب عليها فهو مخير في أشياء أخرى خاضعة لاختياره بتقدير الله الذي يهدي ويضل ويعز ويذل. وهذا هو الفهم الصحيح عند سلفنا الصالح رضوان الله عليهم وعند أهل السنة أجمعين.

٦- مذاهب مرفوضة

غير أن بعض الفرق ظهرت بين المسلمين وادعى بعضها أن الإنسان مجبور في كل أفعاله ولا خيار له ولا حرية، بل هو كريشة معلقة في الفضاء تسيرها الأقدار كيفما تشاء، وادعى آخرون أنه غير مجبر بل هو حر حرية مطلقة وخالق لكل أفعاله من نفسه.

وقد رأينا كيف نظر (جولد تسيهر) و المستشرقون معه إلى أصحاب هذه الأقوال وادعوا أن آيات القرآن الكريم في القضاء والقدر هي سبب ظهور هذا الافتراء لتناقضها وتنافرها-كما نقلنا عنه آنفاً- وقد أثبتنا أنه ليس بين هذه الآيات تنافر ولا اختلاف بل كل آية تتكامل مع أختها وبينهما التقاء وانسجام تام.

وإن كان (جولد تسيهر) اليهودي لم يفهم ذلك أو فهمه ولكن يغالط فيه كعادته. إلا أننا نشير أيضاً إلى أن أصحاب هذه الأقوال في الجبر المطلق أو الحرية المطلقة هم

(١) القضاء والقدر في الإسلام ص١٥٩.

شرذمة قليلون وغير معتد بهم بين أبناء الأمة وقد أساؤوا هم أيضاً فهم آيات الكتاب العزيز في موضوع القدر وهذا واضح وغير خفي:

فالذين قالوا بالحرية المطلقة وأن الإنسان خالق لأفعاله وأنه لا قدر مطلقاً فقد تعاموا عن عجز الإنسان أمام ما يصادفه من عقبات في حياته ولا يستطيع أن يزيلها، فلو كان حراً وخالقاً لأفعاله وقادراً على ذلك لأزال هذه العقبات والمشكلات لكننا نرى بأعيننا مدى عجز الإنسان عما يصيبه من أمور خارجة عن مدار إرادته فكيف يقال بأنه قادر على خلق أفعاله؟!.

أما الذين قالوا بالجبر المطلق: فهؤلاء من المخطئين أيضاً؛ لأنهم سلبوا الإرادة الجزئية وعطلوا العقل الإنساني عن أهم وظائفه وهي التميز بين الخير والشر والحسن والقبيح على ضوء ما علم من الشرع، بل ودفعوا البشرية إلى الاستسلام والعطل في هذه الدنيا وأسندوا الظلم لله تعالى العادل.[1]

ومعلوم أن الله تعالى لا يظلم مثقال ذرة وهذا هو ما عليه عقلاء الأمة في كل زمان ومكان، ومن ثمّ فقد تبين خطأ ما ذهب إليه (التسيهر) وأعوانه من المستشرقين لأن أصحاب هذه المذاهب والأقوال -كما قلت- لا يصح أن تحسب أقوالهم على الإسلام، لأنهم لا يمثلون أغلبية الأمة ولا فهمهم يلتقي مع فهم علمائنا الأجلاء وسلفنا الصالح رضوان الله عليهم أجمعين.

ثالثاً عقيدة توكل لا تواكل: ومن غرائب ما نقلناه عن المستشرقين -آنفا- ادعاؤهم أن التمسك بعقيدة القضاء والقدر في الإسلام هو سبب تأخر المسلمين ودعوة إلى التواكل والخمول والكسل وعدم السعي؛ فهم لذلك مستسلمون. والمستشرقون يقولون ويذيعون ذلك ليدفعوا البسطاء من الناس لنبذ الإسلام وعقائده، بل وليقدموا صورة لأبناء جلدتهم عن الإسلام مقلوبة، وسواء أكان هذا الأمر

(١) انظر: دفاع عن العقيدة والشريعة، ص٩٢.

بقصد -وهو ما نعتقده فيهم- أو من دون قصد -وهو ما لا نظنه كما هو معلوم عنهم- فإننا ندعوهم ومن صدقهم أن يقفوا معنا وقفتين.

الوقفة الأولى: وفيها نراجع معاً صفحات التاريخ لنرى ونشاهد هل هذا التأخر الذي نلمسه بين المسلمين الآن خاصة في التقدم العلمي ونقره ولا نكذبه -هل كان ملازماً للمسلمين كمسلمين في كل عصر؟ وهل كان العرب قبل الإسلام في قمة التقدم والتحدث والتحضر ثم جاء الإسلام وأخرهم؟ وهل كانت أوربا التي نشاهد ازدهارها العلمي -فقط- الآن كانت سباقة في التمدن والتطور والبحث العلمي عن المسلمين في عصورهم الماضية؟؟

إن هذه الأسئلة لا تحتاج إلى عمق في التفكير، فنظرة واحدة في كتب التاريخ تُبين لنا أن العرب قبل الإسلام لم يكن لهم صوت ولا دولة، بل كانوا بدواً رحلاً تتخاطفهم دولتان ذات اليمين وذات الشمال هما دولة الفرس والروم، فلما جاء الإسلام وحدهم وطورهم وعلمهم وجعلهم قادة على الدنيا كلها، بل وخضعت لهم دولة الفرس ودولة الروم ودخل أكثرهم معهم في هذا الدين القويم بطمأنينة واقتناع، وظهر من بينهم العلماء والأدباء وقادة الفكر ومكتشفو النظريات الكونية والإنسانية، وذلك كله بفضل الله الذي كرمهم بالإسلام.

أما أوربا وشعوبها فقد كانت في الشمال والغرب لا تزال خارج الوجود المتمدن لا تشعر بأحد ولا يشعر بها أحد وما زال تلاميذنا الصغار في مدارسنا وحضاناتنا حينما يسمعوا كلمة عصور الظلام تنصرف أذهانهم فوراً إلى أوربا في أزمانها القديمة والبعيدة والمستشرقون لا ينكرون ذلك ولا يستطيعون، ويحكي التاريخ «أن الرشيد أرسل إلى شارلمان ساعة دقاقة تدور بالماء فلما ذُهب بها إلى بلاط فرنسا قالوا: إن بها شيطاناً يحركها -هم قالوا هذا- إذن كنّا أصحاب علم وحضارة»[1] وهم كانوا في

(١) رداً على الملاحدة والعلمانيين ص١٦٤.

عصور الظلام. وما وجد الرازي[1] طبيب العرب الأول إلا في ظل الإسلام، وما وجد جابر بن حيان[2] الكيمائي المعروف عند علماء الغرب وأول من وصف أعمال التقطير والتذويب والتحويل والتنجيز إلا في ظل الإسلام.

وليس اسم ابن الهيثم[3] بغريب على أسماع الأوربيين الآن ومنذ عصر النهضة عندهم فقد اغترفوا من نظرياته خاصة ما كتبه (في علم البصريات والضوء).

وغير هؤلاء من علماء الإسلام في علوم التقنية كثير في مختلف التخصصات من رياضة وفلك وطب وتقاويم وتاريخ وفلسفة إلخ وكلها قد نشأت وترعرعت بعد مجيء الإسلام وبذلك أقر علماؤهم والمنصفون منهم من أمثال:

١- (لوثروب ستودارد) الذي يقول: «إن الإسلام وهو الدين البين الصريح ما كان ليقيد عقل العربي.. بل لما نشر العرب فتوحهم.. عكفوا جادين على ترقية الفنون والعلوم والآداب.. فأضاؤوا العقول وجعلوا الحياة تزدهر ازدهاراً يعد فخراً لهم».[4]

٢- ويقول (ليو بولد فايس): «إن التاريخ يبرهن وراء كل إمكان للريب أنه ما من دين أبداً حث على التقدم العلمي كما حث الإسلام، وأن التشجيع الذي لقيه العلم والبحث العلمي انتهى إلى ذلك الإنتاج الثقافي الباهر في أيام الأمويين والعباسيين وأيام دولة العرب في الأندلس، وأن أوربا لتعرف ذلك حق المعرفة؛ لأن ثقافتها مدينة للإسلام بتلك النهضة على الأقل بعد قرون الظلام الدامس...»[5]

---

(١) أبو بكر محمد بن زكريا ولد سنة ١٥٠ هـ في بلاد الري من أعمال فارس، تولى رئاسة الأطباء في عهد عضد الدولة من بين مائة طبيب. انظر: طبقات الأطباء لابن أبي أصيبعة ص٤١٥.

(٢) هو جابر بن حيان بن عبد الله الكوفي ولد بطوس بخراسان عام ١٢٠ هـ من أصول عربية. انظر: حضارة العرب، ص٢٥ لجوستاف لوبون.

(٣) محمد بن الحسن بن الهيثم ولد في البصرة سنة ٣٤٥هـ نفسه وانظر: مقدمة بن خلدون، ص٢٧٢.

(٤) نقلاً عن كتاب قالوا عن الإسلام، ص٣٦٧.

(٥) نفسه ص٣٧٥.

٣- وليسمع أخيراً المستشرقون ما قاله (إيفلين كوبولد) وهو يبكي على سقوط الحضارة الإسلامية في الأندلس: «جاء العرب إلى أوربا ومعهم شعلة العلم في ذلك الزمان الماضي وهو ما يحملنا أن نبكي مصرع الأندلس؛ لأن ذلك كان ضربة للحضارة الحديثة والعمران القديم.. والنبي العربي كان يدعو المؤمنين إلى طلب العلم من أقصى الأرض إلى أقصاها وعرف كلومبوس جامعات أسبانيا الإسلامية وتعلم فيها أن الأرض مدورة... وكانت هذه الجامعات ترحب بطلابها من اليهود والنصارى.. الذين انتظموا فيها ونالوا شهاداتها وتلقوا معارفها»[1].

تلك هي بعض الشهادات التي أدلى بها ثلاثة من المنصفين إخوان المستشرقين ومن أبناء جلدتهم ووطنهم وما ذكروا إلا ما كان واقعاً في الماضي القريب. وفي الحاضر الآن بعض الشواهد تؤكد على ذلك فلو ذهب شخص الآن إلى مكتبة الكونجرس بأمريكا لوجد أن الرسمة المعملية للعملية الكيماوية حتى الآن ما هي إلا صورة عربي أمام الأنبيق وهو يقطر ويجرب، وهذا يدل على أن نواة كل حضارة وبذرة كل علم تقدمي هي من عندنا فهل يقال بعد ذلك أننا أمة متخلفة).[2]

وهل التخلف كان ملازماً لنا في العصور الماضية؟

إن ما ذكرناه بشهادة غيرنا دل على أن المسلمين لما جربوا الإسلام في الصدر الأول وعرفوا دينهم وما يدعو إليه من بحث وتنقيب وتوكلوا على الله حق توكله تقدموا ونهضوا وسادوا الدنيا، والآن ما لازمهم التخلف الذي يوصمهم به المستشرقون إلا لأنهم هجروا دينهم ورضوا بأن يكونوا مع الخوالف، ولو استيقظوا وتنبهوا لرجعوا وكانوا مرة أخرى من السابقين هذا هو ما أردت أن أقفه وقفة أولى مع المستشرقين.

---

(١) نفس المصدر، ص٣٩٠، ٣٩١.

(٢) رداً على الملاحدة والعمانيين، ص١٦٥.

أما الوقفة الثانيـــة: فإننا نسمح لأنفسنا أن نصطحب هؤلاء الذين يتهمون عقيدة القضاء والقدر في الإسلام من المستشرقين بأنها تدعو إلى التواكل والكسل ونقول لهم: فمن أي كتاب وقفتم على هذا الاتهام ومن الذي أخبركم بأن هذه العقيدة في الإسلام هي عقيدة تواكل وتكاسل؟ إنكم إذا أردتم أن تحكموا على الشيء فاذهبوا واطلعوا على مصدره، ونحن مصدرنا في عقيدتنا كتاب الله وسنة نبيه ﷺ وكتاب الله يقول لنا: ﴿وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُۥٓ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ بَٰلِغُ أَمْرِهِۦ ۚ قَدْ جَعَلَ ٱللَّهُ لِكُلِّ شَىْءٍ قَدْرًا﴾[1].

وإذا كان التواكل يكون بترك الإنسان للعمل ليعمله له غيره أو اعتماداً على أن الله سينيله ما يتمنى دون عمل فإن الآية هنا لا تشير إلى ذلك التواكل بل إلى التوكل، والتوكل معناه: أن يعمل الإنسان ويسعى ويكد في الأرض ويتخذ كل الوسائل الممكنة وكل الأسباب في الوصول إلى ما يريد، ثم يترك أمر النتائج إلى الله تعالى، فهو الذي قدرها على قدر العمل وعلم ما يضر منها وما ينفع، فإذا جاءت بما يريد الإنسان فهذا مما يريده الرحمن؛ وإن جاءت على عكس ما يريد فلحكمة يعلمها المريد ولا يعلمها الإنسان؛ لأن كل شيء عنده بقدر، فإذا ما استقر هذا المعتقد في نفس الإنسان أراح واستراح واطمأن قلبه بقدر الله، فهو فعل ما يستطيع والباقي على الله، فهل في هذا الأمر خطأ يراه المستشرقون، ولا نراه وهل في هذا المعتقد أي إشارة لتوقيف عجلة الحياة عن السير في اتجاهاتها الصحيحة؟

أليس في ذلك المعتقد أمن وأمان من الاضطراب النفسي والقلق الفكري والإرهاق العصبي -تلك الأمراض التي يتعايش معها المستشرقون منذ أن علموا بالإسلام، وتلك الأمراض التي تنتشر انتشار النار في الهشيم بين أبناء أوربا مع أنهم في قمة تقدمهم التقني، وما الانتحار السائد في السويد أغنى دولة في دخل الفرد في العالم إلا

(١) سورة الطلاق، الآية: ٣.

وحارة في أمريكا وبريطانيا وغيرها من دول أوربا إلا بسبب غياب معتقد التوكل على الله وعدم معرفة الإنسان بأن كل نتيجة بعد اتخاذ الأسباب مقدرة ولا يكون إلا ما يريد الله: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ بَٰلِغُ أَمۡرِهِۦۚ قَدۡ جَعَلَ ٱللَّهُ لِكُلِّ شَيۡءٖ قَدۡرٗا﴾ (١).

إن اتهام الإسلام بالكسل والتواكل ترفضه الآيات القرآنية الكريمة والسنة الشريفة وأقوال علمائنا الأجلاء:

١- أما في كتاب الله عز وجل:

أ - **فقد جاء قوله جل وعلا في سورة التوبة:** ﴿وَقُلِ ٱعۡمَلُواْ فَسَيَرَى ٱللَّهُ عَمَلَكُمۡ وَرَسُولُهُۥ وَٱلۡمُؤۡمِنُونَۖ وَسَتُرَدُّونَ إِلَىٰ عَٰلِمِ ٱلۡغَيۡبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ﴾ (٢).

فلو كانت المسألة في الإسلام مسألة تواكل واتكال على أن كل شيء مكتوب وسيأتي للإنسان بدون وسائل لما قرع الله تعالى آذان الناس المتبعين لدينه بذلك الأمر الحاسم في التوجه إلى العمل والإشعار بأنه لابد أن يكون عملاً متقناً ومحكماً بقدر ما يستطيع الإنسان لأن الآمرَ بالعمل والخالق لك وللعمل هو الذي سيطّلع عليك وعلى عملك، بل وسيراه رسوله والمؤمنين كذلك حتى لا تصير فضيحة يوم القيامة فعلى المرء أن يتقن ما كلف به.

ب - **وفي سورة الجمعة يقول تبارك وتعالى:** ﴿فَإِذَا قُضِيَتِ ٱلصَّلَوٰةُ فَٱنتَشِرُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَٱبۡتَغُواْ مِن فَضۡلِ ٱللَّهِ وَٱذۡكُرُواْ ٱللَّهَ كَثِيرٗا لَّعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ﴾ (٣).

أي إذا فرغتم من أداء فريضة الصلاة فلا تناموا أو تقعدوا ظانين أن أداءكم لفرض الله سيغنيكم عن البحث عن الرزق فهذا خطأ فادح «بل تحركوا وانتشروا في الأرض للتجارة والتصرف في حوائجكم»(٤) ولا تنسوا أن تصطحبوا معكم ذكر الله فهو خير معين لما تقومون به.

---

(١) سورة الطلاق، الآية: ٣.
(٢) سورة التوبة، الآية: ١٠٥.
(٣) سورة الجمعة، الآية: ١٠.
(٤) مختصر تفسير البغوي ج٢ ص٩٤٥.

ج ـ ومثله قوله تعالى من سورة المائدة: ﴿وَإِذَا حَلَلْتُمْ فَٱصْطَادُوا۟﴾[1] أي قد أبحنا لكم الصيد والبحث عنه بعد أن كان محظوراً عليكم بعد إحرامكم[2].

د ـ وأيضاً قوله تبارك اسمه في سورة الملك: ﴿هُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ ذَلُولًا فَٱمْشُوا۟ فِى مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا۟ مِن رِّزْقِهِۦ ۖ وَإِلَيْهِ ٱلنُّشُورُ﴾[3].

يقول ابن كثير: أي مسافرين حيث جئتم من أقطارها.. واسعوا لطلب المكاسب فالسعي لا ينافي التوكل[4] فلو توكل الإنسان على الله حق توكله لرزقه كما يرزق الطير، وأقول توكل لا تواكل كما يزعم المستشرقون.

هـ- وأيضاً قوله جل وعلا في سورة النساء: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ خُذُوا۟ حِذْرَكُمْ فَٱنفِرُوا۟ ثُبَاتٍ أَوِ ٱنفِرُوا۟ جَمِيعًا﴾[5]

فلو كان الإيمان وحده يكفي لترك أخذ الحذر لما جاء قوله تبارك وتعالى للمؤمنين بأن، يأخذوا حذرهم فالأخذ بالأسباب أمر لابد منه في الإسلام وكل الآيات التي تحدثت في القضاء والقدر أشارت إلى اختيار الإنسان في هذه الأمور، والمسلم الصادق الفاهم لعقيدة القدر يعلم أن الله خالق كل شيء؛ لأن كل فعل اختياري يتم فإنه يصح أن ينسب للإنسان على أنه السبب فيه وإلى الخالق على أنه الخالق له وعليه التوكل وبيده النتائج؛ لذا لا يصح أبداً إهمال الأسباب.

٢- أما في السنة المطهرة:

فقد جاءت تأكيدات كثيرة من أشرف الخلق ﷺ على الأخذ بالوسائل والأسباب حتى يتقوى الإنسان في كل شؤونه ولا يكون ضعيفاً وصعلوكاً في المجتمع، وأكتفي بما رواه أبو هريرة رضي الله عنه من أن النبي ﷺ قال: «المؤمن القوي خير وأحب

(١) سورة المائدة، الآية: ٢.
(٢) انظر تفسير ابن كثير، ج٢ ص٦.
(٣) سورة الملك، الآية: ١٥.
(٤) تفسير ابن كثير، ج٤ ص٤٠٦.
(٥) سورة النساء، الآية: ٧١.

إلى الله من المؤمن الضعيف وفي كل خير، احرص على ما ينفعك واستعن بالله ولا تعجز وإن أصابك شيء فلا تقل لو أني فعلت كذا لكان كذا ولكن قل قدّر الله كان وما شاء فعل فإن لو تفتح عمل الشيطان».[1]

ولو لم يوجد في السنة كلها غير هذا الحديث الصحيح لكفى إلجاماً لأفواه المستشرقين الذين يدعون أن الاعتقاد بالقدر قد أصاب المسلمين بالعجز والإحباط فهو يدعو بكل قوة إلى الربط بين الاعتقاد والأخذ بالأسباب، ويبين أن الأخذ بالأسباب لا ينافي هذا الاعتقاد، وعلى المؤمن بعد أخذه بالأسباب أن يكون مطمئن القلب ولا يجزع من النتائج ولا يصرخ ولا يلطم الخدود كم يفعل الجاهلون، بل يقول بكل هدوء قدر الله كان وما شاء فعل، ولا يجعل للشيطان سبيلاً إليه لكي يحاجج في القدر ويقول لو كان كذا لكان كذا (فلو) هذه لا يصح أن يتلفظ بها من عمل كل جهده وتوكل على خالقه.

٣- أقوال العلماء تؤكد على التوكل:

وجاءت أقوال علمائنا الأجلاء لتواصل مسيرة التأكيد على أن عقيدة القضاء والقدر هي عقيدة توكل كما أشار الكتاب العزيز والسنة المطهرة، وليست عقيدة تواكل وكسل كما زعم المغرضون ونسوق من هذه الأقوال مايلي:

أ- **يقول الإمام أحمد** -رحمه الله- في طرح عقيدته: «ونؤمن بالقضاء والقدر خيره وشره حلوه ومره من الله»[2].... «وأن السنة التي توفي عليها رسول الله ﷺ أولها الرضا بقضاء الله والتسليم لأمر الله والصبر تحت حكمه والأخذ بما أمر الله به والنهي عما نهى عنه وإخلاص العمل لله..»[3].

---

(١) رواه مسلم في صحيحه، ج٤ ص٢٠٥٢ حديث رقم ٢٦٦٤.

(٢) انظر: مناقب الإمام أحمد، ص٢١٩ لابن الجوزي تحقيق د/ عبد الله التركي، تصحيح محمد عمر.

(٣) نفسه ص٢٨٨.

فالإمام أحمد -رحمه الله ورضي عنه- لم ينس أن يذكر الناس بأن العمل في الإسلام مطلوب فيه الإخلاص والجدية، وهو لاينفي الاعتقاد في صحة ما قدر الله وما قضاه.

ب- **ويقول الإمام ابن قتيبة** -رحمه الله-: «وعدل القول في القدر أن تعلم أن الله عدل لا يجور... فإن أعطى فبفضل وإن منع فبعدل، وأن العباد يستطيعون ويعملون ويجزون بما يكسبون...»[1].

ج- **ويقول شارح الطحاوية**: وقد ظن بعض الناس أن التوكل ينافي الاكتساب وتعاطي الأسباب، وأن الأمور إذا كانت مقدرة فلا حاجة إلى الأسباب وهذا فاسد، فإن الاكتساب منه فرض ومنه مستحب ومنه مباح... ومنه مكروه وقد كان النبي أفضل المتوكلين، يلبس لأمة الحرب ويمشي في الأسواق للاكتساب»[2].

د- **ويقول الشيخ محمد الغزالي**: « وقد أحسن سلفنا الإيمان بهذه العقيدة، فكان أثرها في مسلكهم رائعاً وإذا علم الواحد منهم أن أجله مكتوب لا ينقصه الإقدام ولا يزيده الإحجام أدى واجبه على وجهه الأكمل وفي أذنيه دوي الوحي الإلهي ﴿قُل لَّن يُصِيبَنَآ إِلَّا مَا كَتَبَ ٱللَّهُ لَنَا هُوَ مَوْلَىٰنَا ۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ﴾[3].

وهكذا يتبين أمامنا أن علماءنا الأجلاء وسلفنا الصالح الأوفياء لم تكن عقيدتهم في القدر مصدر تكاسل أو تقاعس أو تثاقل إلى الأرض بل كانت مصدر حركة وحيوية وفتح للبلاد ونشر لدين الله وكشف وتنقيب عن مكنوزات الله تعالى في كونه، كما كانت أيضاً مصدر اطمئنان واستقرار نفسي ولا تزال إلى الآن أكبر داع إلى العمل الجاد

---

(١) الاختلاف في اللفظ والرد على الجهمية والمشبهه ص٢٣١ عن القضاء والقدر، ص٣٨١.

(٢) شرح العقيدة الطحاوية، ص٣٥٢.

(٣) عقيدة المسلم، ص١١٨.

المستمر في كل جنبات الحياة شريطة أن يتسلح المؤمن بالتوكل على الله بعد تقديم كل ما لديه من أسباب، ويحمد الله على النتيجة إن كانت سراء ويصبر ولا يجزع إن كانت من وجهة نظرة ضراء؛ لأن الله تعالى له حكمة وتقدير لا نعلمه نحن ولا نصل إليه بعقولنا القاصرة.

فهو وحده يعلم ما تؤول إليه الأمور وعلمه علم انكشاف للماضي والحاضر والمستقبل: ﴿وَمَا تَسْقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٍ فِي ظُلُمَاتِ الْأَرْضِ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ ﴿٥٩﴾﴾[1].

ولا نملك في النهاية إلا أن نصرخ في آذان كل غلاة المستشرقين ونقول بعد أن عرفوا الحق وجحدوه وشاهدوا النور وعن بني جلدتهم والإنسانية أخفوه: ﴿وَيْلٌ لِّكُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ ﴿٧﴾ يَسْمَعُ آيَاتِ اللَّهِ تُتْلَىٰ عَلَيْهِ ثُمَّ يُصِرُّ مُسْتَكْبِرًا كَأَن لَّمْ يَسْمَعْهَا فَبَشِّرْهُ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٨﴾ وَإِذَا عَلِمَ مِنْ آيَاتِنَا شَيْئًا اتَّخَذَهَا هُزُوًا أُولَٰئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴿٩﴾﴾[2].

اللهم اجعل منتهى مطالبنا رضاك

وأقصى مقاصدنا ما يعدنا لأن نلقاك

ربنا لا تزغ قلوبنا بعد إذ هديتنا وهب لنا من لدنك رحمة إنك أنت الوهاب.

كتبه العبد الفقير إلى الله دائماً

دكتـــور

عبد المنعم فؤاد محمود عثمان

الرياض - جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية ـ ١٤١٩هـ

(١) سورة الأنعام، الآية: ٥٩.

(٢) سورة الجاثية، الآية: ٧-٩.

الخـاتمة

- نسأل الله حسنها -

قد تبين مما سبق عرضه أن المستشرقين يقومون بجهود جبارة في ضرب الإسلام وأصوله ولم يقصروا في ذلك، وقد آن الأوان لعلماء المسلمين أن يتكاتفوا بكل قوة ويتجمعوا ويواجهوا هؤلاء بجهود أكثر مما هو واقع ويعمل أكثر مما هو قائم ، وإنني لأدعو أن تصدر دوريات ومجلات ونشرات بمختلف اللغات في بلاد العالم الإسلامي لبيان أصول الإسلام وفضح مخططات أهل الاستشراق حول هذه الأصول، كما أتمنى أن تتكاتف الجهود في مشروع عمل لإصدار (**دائرة معارف إسلامية**) يقوم بإعدادها متخصصون في كل فنون العلم من المسلمين لهدفين:

الأول: لكي يُستقى منها الفكر الصحيح والمعلومات الحقيقية.

الثاني: لمواجهة دائرة معارف المستشرقين وكشف افتراءاتهم على ديننا الحنيف.

كما أتمنى أن تكون للحكومات الإسلامية يد طولى في إمداد هذا المشروع وتشجيعه لكي يكون علامة مضيئة في طريق الباحثين من الشباب .

والله ولي التوفيق، ،

أهم المصادر والمراجع

١ - القرآن الكريم جل من أنزله.

٢ - أحكام القرآن - أبو بكر العربي - دار المعرفة بيروت ١٩٧٢م.

٣ - أساليب الدعوة الإسلامية د/ أحمد العمار . دار إشبيليا.

٤ - الاستشراق بين الموضوعية والافتعالية - قاسم السامرائي - دار الرفاعية للنشر والطباعة ١٤٠٣ هـ أولى.

٥ - الاستشراق تاريخه وأهدافه - د/ أحمد شلبي .

٦ - الاستشراق في ميزان نقد الفكر الإسلامي د/ أحمد عبد الرحيم السايح الدار المصرية اللبنانية.

٧ - الاستشراق والخلفية الفكرية للصراع الحضاري - د/ محمود حمدي زقزوق - كتاب الأمة - قطر ١٤٠٤هـ.

٨ - الاستشراق والمستشرقون وجهة نظر. سلسلة دعوة الحق / ٢٤ مكة المكرمة رابطة العالم الإسلامي.

٩ - الإسلام -هنري ماسية- ترجمة بهيج شعبان.منشورات عويدات بيروت ١٩٦٠م.

١٠ - الإسلام يتحدى - وحيد الدين خان - ترجمة ظفر الدين خان مراجعة د/ عبد الصبور شاهين - مكتبة القرآن.

١١ - أشعة خاصة بنور الإسلام - أتين دينيه - ترجمة الأستاذ/ راشد رستم سلسلة الثقافة الإسلامية ١٣٧٩هـ.

١٢ - أضواء البيان في تفسير القرآن بالقرآن.للشنقيطي. عالم الكتب. بيروت.

١٣ - أضواء على الاستشراق د/ محمد عبد الفتاح عليان.

١٤ - أطوار الخلق في تاريخ الإنسان - د/ أحمد شوقي إبراهيم .

١٥ - الغزو الفكري أبعاده ومواجهته د/ عبد العزيز تمام- رقم إيداع بدار الكتب المصرية ٩٥٧٧/ ١٩٩٠م.

١٦- الغزو الفكري والتيارات المعادية للإسلام - الشيخ أحمد بشير.

١٧- أوربا والإسلام - د/ عبد الحليم محمود.

١٨- بغية المرتاد)السبعينية(لشيخ الإسلام بن تيمية.

١٩- التبشير والاستعمار - مصطفى خالدي وعمر فروخ.

٢٠- تاريخ الشعوب الإسلامية - بروكلمان.

٢١- تراث الإسلام . تصنيف شاخت وبوذرث _عالم المعرفة الكويت ١٩٨٨م.

٢٢- تفسير الطبري (جامع البيان) طبعة الحلبي.

٢٣- تفسير القرآن العظيم للحافظ ابن كثير - دار التراث العربي القاهرة ، ودار الكتب العلمية - بيروت ١٩٩٧م.

٢٤- التفسيرالكبير للرازي - دار إحياء التراث العربي.

٢٥- التلمود - زهدي الفاتح.

٢٦- جلاء الأفهام في الصلاة والسلام على خير الأنام. لابن القيم. دار الكتب العلمية ١٤٠٥هـ.

٢٧- الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح . شيخ الإسلام بن تيمية. مطابع المجد التجارية.

٢٨- حضارة العرب. غوستاف لوبون - ترجمة عادل زعيتر.

٢٩- دائرة المعارف الإسلامية ترجمة محمد ثابت الفندي وآخرين.

٣٠- دراسات استشراقية وحضارية ، كتاب محكم تأليف نخبة من الباحثين كلية الدعوة بالمدينة العدد الأول ١٤١٣هـ طبعة جامعة الإمام .

٣١- دفاع عن العقيدة والشريعة ضد مطاعن المستشرقين للشيخ محمد الغزالي طبعة نهضة مصر.

٣٢- رداً على الملاحدة والعلمانيين للشيخ الشعراوي دار الطباعة الحديثة.

٣٣- الرسالة التدميرية . مجمل اعتقاد السلف لابن تيمية طبعة جامعة الإمام.

٣٤- الرسول) في كتابات المستشرقين للأستاذ/ نذير حمدان. دار الأصفهاني للطباعة بجدة.

٣٥- رؤية إسلامية للاستشراق . أحمد عبد الحميد غراب دار الأصالة للثقافة والنشر.

٣٦- الروح لابن القيم.

٣٧- شبهات التغريب للأستاذ أنور الجندي.

٣٨- شبهات خصوم الإسلام والرد عليها. للشيخ الشعراوي. دار القلم - بيروت.

٣٩- شرح العقيدة الطحاوية. للقاضي على بن محمد أبي العز الدمشقي، تحقيق د/ عبدالله التركي وشعيب الأرنؤوط . مؤسسة الرسالة - بيروت.

٤٠- صحيح البخاري (مع فتح الباري) دار الريان.

٤١- صحيح مسلم تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي . المكتبة الإسلامية.

٤٢- العقيدة الإسلامية وأسسها. عبد الرحمن الميداني ١٣٨٥هـ.

٤٣- عقيدة اليهود في الله والأنبياء . سعد عابد توفيق الهاشمي.

٤٤- عقيدة ختم النبوة . أحمد سعد الغامدي دار طيبة ١٤٠٥هـ.

٤٥- العقيدة والشريعة في الإسلام.جولد تسيهر. ترجمة محمد يوسف موسى وآخرون.

٤٦- عقيد المسلم الشيخ محمد الغزالي. دار الكتب الإسلامية . القاهرة.

٤٧- فتح القدير للشوكاني - المكتبة التجارية - مكة المكرمة.

٤٨- الفكر الإسلامي الحديث وصلته بالاستعمار الغربي. د/محمد البهي. مكتبة وهبة.

٤٩- في ظلال القرآن - الأستاذ/ سيد قطب - دار الشروق.

٥٠- في نور العقيدة الإسلامية - د/سيد أحمد المسير- ط وزارة الأوقاف المصرية.

٥١- قالوا عن الإسلام. د/ عماد الدين خليل ، الندوة العالمية للشباب الإسلامي.

٥٢- موسى الكتاب المقدس تأليف مجموعة من اللاهوتيين طبعة بيروت.

٥٣- القاموس المحيط للفيروزيادي مؤسسة الرسالة .

٥٤- القرآن الكريم والتوراة والإنجيل والعلم، موريس بوكاي. دار المعارف مصر.

٥٥- القضاء والقدر في ضوء الكتاب والسنة ومذاهب الناس فيه د/ عبد الرحمن بن صالح المحمود -دار الوطن ، الرياض.

٥٦- قضايا معاصرة في ضوء الإسلام - د/حلمي عبد المنعم- دار عالم الكتب للطباعة والنشر بالرياض.

٥٧- قضية الألوهية بين الفلسفة والدين والله٠٠ والإنسان ، الأستاذ/ عبدالكريم الخطيب - دار الفكر العربي.

٥٨- الكتاب المقدس - طبعة العيد المئوي ، دار الكتاب المقدس بمصر.

٥٩- الكنز الجليل في تفسير الإنجيل - وليم إدي - نشر مجمع الكنائس في الشرق الأدنى - بيروت.

٦٠- الكنز المرصود في فضائح التلمود د/ حسين رضوان اللبيدي.

٦١- لسان العرب لابن منظور - دار صادر - بيروت.

٦٢- لماذا القرآن - د/ حسين رضوان اللبيدي.

٦٣- لمحات في الثقافة الإسلامية .عمر عودة الخطيب. مؤسسة الرسالة. بيروت.

٦٤- الماركسية بين الدين والعلم -د/جميل أبو العلا- مطبعة الأمانة.

٦٥- مختصر تفسير البغوي - تعليق د/ عبد الله المزيد- مكتبة المعارف للنشر والتوزيع.

٦٦- المذاهب المعاصرة وموقف الإسلام منها د/ عبدالرحمن عميرة.

٦٧- المستشرق نيوكلسن ومفترياته على الإسلام -رسالة دكتوراه في كلية أصول الدين بالرياض محمد يوسف الكباشي.

٦٨- مسند الإمام أحمد - تحقيق الأستاذ/ أحمد شاكر.

٦٩- المسيحية بين التوحيد والتثليث وموقف الإسلام منها . د/ عبدالمنعم فؤاد.

٧٠- مع المفسرين والمستشرقين - زاهر الألمعي ، مطابع الفرزدق.الرياض.

٧١- معجزة القرآن - فضيلة الشيخ الشعراوي.

٧٢- المعجم الوسيط - مجمع اللغة العربية ط ١٩٧٢م.

٧٣- معجم مقاييس ابن فارس.

٧٤- مناقب الإمام أحمد. ابن الجوزي . تحقيق د/ عبدالله التركي.

٧٥- الملل والنحل للشهرستاني . دار مكتبة المتنبي بيروت . لبنان.

٧٦- الموجز في الأديان والمذاهب المعاصرة د/ناصر القفاري ، ود/ناصر العقل دار الصميعي للنشر والتوزيع.

٧٧- الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب المعاصرة . الندوة العالمية . دار الندوة العالمية للطباعة والنشر - تقديم د/ مانع الجهني.

٧٨- النبأ العظيم نظرات جديدة في القرآن الكريم . د/ محمد عبدالله دراز دار طيبة.

٧٩- هداية الحيارى في أجوبة اليهود والنصارى لابن القيم - مكتبة السوادي جدة.

٨٠ ـ اليوم الآخر بين اليهودية والمسيحية والإسلام. د/ فرج الله عبد الباري ، دار الوفاء ـ مصر.